

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا

عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: 47]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

تأكيد انطماس
بصائرهم
وشدة تكذيبهم
باستعجالهم
العذاب

لَمَّا ذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَذَّبُوا رَسُولَهُ وَبَالَغُوا فِي تَكْذِيبِهِ، وَسَلَّاهُ عَلَى ذَلِكَ فَأَخْبِرَهُ بِأَنَّهُ لَيْسَ بِبِدْعٍ مِنَ الرُّسُلِ؛ فَكَثِيرٌ مِمَّنْ قَبْلَهُ قَدْ كُذِّبُوا وَأَوْذُوا كَثِيرًا، فَعَلِيهِ إِلَّا يَبْتَئِسَ بِمَا يَفْعَلُونَ، وَأَنْ يَصْبِرَ عَلَى مَا يَدْعُو إِلَيْهِ، وَالْأَيُّضِ مَا يَأْتُونَ وَمَا يَذَرُونَ، لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ؛ أَعْقَبَ ذَلِكَ بَيَانِ أَنَّهُمْ لَا سَهْزَاهُمْ بِهِ وَشَدِيدِ تَكْذِيبِهِمْ كَانُوا يَسْتَعْجِلُونَهُ الْعَذَابَ⁽¹⁾؛ فَأَكَّدَ ﷻ انطماس بصائرهم، حَيْثُ بَيَّنَّ أَنَّهُمْ بَدَلُ أَنْ يَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُوهُ؛ اسْتَعْجَلُوا الْعَذَابَ⁽²⁾؛ فَهَذِهِ الْآيَةُ مِنْ تَمَامِ أَحْوَالِ الْقَوْمِ الْوَارِدَةِ فِي السَّبَاقِ الْقَرِيبِ، وَفِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ اسْتَعْجَالَهُمُ الْعَذَابَ مِنْ عَمَى قُلُوبِهِمْ؛ فَإِنَّهَا لَوْ أَبْصَرَتِ الْحَقِيقَةَ عَلَى وَجْهِهَا مَا اسْتَعْجَلَتْهُ؛ وَقَدْ عَلِمُوا أَنْبَاءَ كَثِيرٍ مِمَّنْ أَهْلَكُوا قَبْلَهُمْ بِعَذَابِ اللَّهِ.

✽ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾: (عجل) أصلُ التَّعْجِيلِ: التَّسْرِيعُ، يُقَالُ: تَعَجَّلَ الشَّخْصُ؛ أَيَّ: تَسَرَّعَ وَفَعَلَ الشَّيْءَ قَبْلَ أَوَانِهِ، وَهُوَ الْإِنْدِفَاعُ وَطَلَبُ الْعَجَلَةِ⁽³⁾، وَالْعَجَلَةُ: خِلَافُ الْبُطْءِ وَالتَّأَخُّرِ وَالتَّأْجِيلِ وَالْإِمْهَالِ، وَمَعْنَاهَا: السُّرْعَةُ، وَيَأْتِي التَّعْجِيلُ بِمَعْنَى التَّقْدِيمِ، يُقَالُ: تَعَجَّلْتُ لَهُ الطَّعَامَ؛ أَيَّ: قَدَّمْتُهُ لَهُ قَبْلَ نُضْجِهِ، وَهُوَ أَيْضًا: السَّبَاقُ إِلَى الشَّيْءِ، تَقُولُ: تَعَجَّلْتُ الشَّيْءَ؛ أَيَّ: سَبَقْتُهُ⁽⁴⁾، وَالْمُرَادُ بِالِاسْتَعْجَالِ فِي الْآيَةِ طَلَبُ الشَّيْءِ قَبْلَ أَوَانِهِ.

(1) المرآغي، تفسير الراغب: 17 / 124.

(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 9 / 323.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عجل).

(4) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (عجل).

(2) ﴿يُخْلَفُ﴾: (خلف) أصلُ الخُلْفِ والخُلْفُ: المُخَالَفةُ في الوَعدِ، وهو نقيضُ الوفاءِ به، يُقالُ: وعدَني فأخلفَني؛ أي: خالفَ في الميعاد⁽¹⁾، وهو أن يَقُولَ شيئاً ولا يَفْعَلَهُ على الاستِقبالِ، والخُلْفُ: الاسمُ من الإخلافِ، وهو في المُسْتَقْبَلِ كالكذبِ في الماضي⁽²⁾، ويُقالُ للذي لا يَكَادُ يَفِي إذا وعدَ: إِنَّهُ لِمُخْلَفٌ، والمُخْلَفُ: الكثيرُ الإخلافِ لوعْدِهِ، والخالفُ: الذي لا يَكَادُ يوفِي⁽³⁾، والمعنى المُراد في الآية واضح.

(3) ﴿وَعْدُهُ﴾: (وعد) كَلِمَةُ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَرْجِيَةِ بِقَوْلٍ، يُقالُ: وعدتهُ أعدهُ وعداً، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِخَيْرٍ وَشَرٍّ، فأما الوعدُ فلا يَكُونُ إِلَّا بِشَرٍّ، يَقُولُونَ: أوعدتهُ بكذا⁽⁴⁾، والوعدُ والعِدَّةُ يَكُونَانِ مُصَدَّرًا واسماً، وجمعُ عِدَّةٍ: عِدَاتٌ، والموعدُ: مَوْضِعُ التَّوَاعُدِ وهو الميعادُ، وَيَكُونُ المَوْعِدُ وَقْتًا للعِدَّةِ، والموعدةُ أَيضاً: اسمٌ للعِدَّةِ، والميعادُ لا يَكُونُ إِلَّا وَقْتًا أو مَوْضِعًا⁽⁵⁾، والمُرادُ بالوعدِ في الآية: الإخبارُ بما سَيَكُونُ من جهةِ المُخبر.

(4) ﴿تَعْدُونَ﴾: (عدّ) أصلُ صَحِيحٌ وَاحِدٌ لا يَخْلُو من العدِّ الذي هو الإحصاءُ، ومن الإِعدادِ الذي هو تَهْيِئَةُ الشَّيْءِ، وإلى هَذَيْنِ المَعْنَيَيْنِ تَرْجِعُ فِرْوَعُ البابِ كُلُّهَا، فالعدُّ: إحصاءُ الشَّيْءِ⁽⁶⁾، تقولُ: عدَدْتُ الشَّيْءَ أعدُهُ عدًّا فأنا عَادٌّ، والشَّيْءُ مَعْدُودٌ، والعديدُ: الكثرةُ، وفلانٌ في عِدَادِ الصَّالِحِينَ؛ أي: يُعدُّ معهم، والعدُّ: مِقْدَارٌ ما يُعدُّ ومبلغه⁽⁷⁾، والجمعُ: أعداد، ومن الوَجْهِ الآخرِ: العِدَّةُ، وهي ما أُعِدَّ لِأَمْرٍ يَحْدُثُ⁽⁸⁾، والمُرادُ بالعدِّ في الآية: الحِسَابُ.

❁ الْمَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

يؤكدُ الحقُّ ﷻ في الآية انطِماسَ بصائرِ القومِ، إذ بَيَّنَّ أَنَّهُمْ بَدَلًا أن يتوبوا إلى الله ويستغفروهم؛ استعجلوا العذاب؛ فقال تعالى: وَيَسْتَعْجِلُكَ - يَا مُحَمَّدٌ ﷺ - كَفَّارُ قَرِيشٍ

(1) الزاغِب، المُفْرَدَات، والسَّمِين، عُمدَةُ الحَقَاط: (خلف)، ولِناوِي، التَّوْقِيف، ص: 158.

(2) الجوهري، الصَّاح، وابن منظور، لسان العرب، والزَّيْدِي، تاج العروس: (خلف).

(3) الزَّيْدِي، تاج العروس: (خلف).

(4) ابن فارس، مَقاييس اللُّغَة: (وعد).

(5) الخليل، العين، والأزهري، تَهْذِيبُ اللُّغَة: (وعد).

(6) ابن سيده، المُحْكَم، وابن منظور، لسان العرب: (عدد).

(7) ابن سيده، المُحْكَم: (عدد).

(8) ابن فارس، مَقاييس اللُّغَة: (عدّ).

ما عَزَفَ اللّٰهَ مَنْ
يَسْتَعْجِلُ عَذَابَهُ

المَكْذِبُونَ بِاللّٰهِ وكتابه ورسوله واليوم الآخر بُنْزُولِ عَذَابِ اللّٰهِ عَلَيْهِمْ
جَزَاءَ شِرْكِهِمْ بِهِ - عَلَى سَبِيلِ الاسْتِهْزَاءِ بِكَ وَالاسْتِخْفَافِ - وَاللّٰهُ لَنْ
يُخْلِفَ مَا وَعَدَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ وَاقَعُ بِهِمْ حَتَمًا فِي وَقْتِهِ الْمُحَدَّدِ، إِذْ هُمْ
يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ، وَلَكِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى حَلِيمٌ لَا يَعْجَلُ بِهِ؛ فَإِنَّ مِقْدَارَ
أَلْفِ سَنَةٍ عِنْدَ خَلْقِهِ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ عِنْدَهُ، فَالطَّوِيلُ عِنْدَهُمْ مِنَ الزَّمَنِ
قَصِيرٌ عِنْدَهُ، وَلَيْسَ عَذَابُهُمْ عِنْدَهُ بِبَعِيدٍ، فَلَا بَدْءَ مِنْ وَقْعِهِ لَا مَحَالَةَ.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

معنى الواو، وتوجيه معنى الآية عليه:

التَّعْجِيبُ مِنْ
حَالِهِمْ وَتَوْضِيحُ
عَمَاهُمْ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ هُوَ مِنْ بَابِ عَطَفِ الْقِصَّةِ
عَلَى الْقِصَّةِ؛ فَإِنَّ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ أَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِالْوَعِيدِ، وَقَالُوا: لَوْ كَانَ
مُحَمَّدٌ صَادِقًا فِي وَعِيدِهِ لَعَجَّلَ لَنَا وَعِيدُهُ؛ فَكَانُوا يَسْأَلُونَهُ التَّعْجِيلَ
بُنْزُولِ الْعَذَابِ اسْتِهْزَاءً كَمَا حَكَى اللّٰهُ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ قَالُوا أَلَلَّهُمْ
إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ أَرْثِنَا
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: 32]؛ فَذَكَرَ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِمُنَاسَبَةٍ قَوْلُهُ:
﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ [الحج: 44] الْآيَةِ⁽¹⁾، فَالْعَطْفُ هُنَا لِإِبْرَازِ التَّعْجِيبِ
مِنْهُمْ وَتَوْضِيحِ عَمَاهُمْ⁽²⁾؛ فَالْعَطْفُ عَلَيْهِ هُنَا مَجْمُوعٌ مَا بَعْدَ الْوَائِ فِي
قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ [الحج: 42] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ السَّادِسَةِ وَالْأَرْبَعِينَ.

وَجَوَّزَ الْبِقَاعِيُّ عَطَفَ الْآيَةِ عَلَى فِعْلِ الْجِدَالِ فِي آيَةِ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يُجَادِلُ﴾ [الحج: 8]؛ أَي: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَعْجِلُونَكَ)، وَجَوَّزَ أَيْضًا -
وَهُوَ وَجْهٌ قَوِيٌّ وَحَسَنٌ جَدًّا - أَنْ تَكُونَ الْوَائِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَائِ الْحَالِ؛
وَتَكُونَ هَذِهِ الْجُمْلَةُ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ ...﴾ حَالًا مِنْ فَاعِلٍ: ﴿يَسِيرُوا﴾ [الحج: 46]؛
فَيَكُونُ مِمَّا أُنْكَرَ عَلَيْهِمْ⁽³⁾، وَبِهَذَا يَكُونُ قَدْ جُمِعَ لَهُمْ فِي

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 290 / 17.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 66 / 13.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 161 / 5.

البيان بين حالين؛ حال هم قائمون فيه؛ وهو استعجالهم العذاب، وحال عليهم أن يقوموا فيه؛ من بعد أن يتخلوا عن حالهم الآخر؛ وهو أن يسيروا في الأرض.

دلالة التعبير بالفعل المضارع:

في الآية الكريمة ذكر الفعل ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ بصيغة المضارع؛ للإشارة إلى تكريرهم ذلك ودأبهم عليه؛ تجديداً منهم للاستهزاء، وتهكماً وإنكاراً لمعتقدات المسلمين⁽¹⁾.

دلالة صيغة الاستفعال والطلب في هذا المقام:

السَّيِّئِينَ وَالتَّائِبِينَ في قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ للطلب؛ والمعنى: يطلبون العجلة والإسراع بنزول العذاب فيهم على سبيل الاستهزاء مُتَحَدِّينَ وزاعمين أن ذلك الإنذار لا يقع كما قالوا: ﴿فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: 70]، وإنَّ هذا التَّحَدِّيَّ والزَّعم منشؤه غفلة في نفوسهم وعقولهم، إذ حسبوا واهمين أنه لن يجيء ويتحقَّق⁽²⁾.

وقد يكون الطلب في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ في معنى الاستفهام؛ أي: يطلبون التَّعجيلَ بالعذاب مُسْتَفْهِمِينَ استفهاماً إنكارياً يُناسب التَّهْكُمَ والاستخفاف؛ والمعنى: أن هؤلاء الطُّغاة بدل أن يسيروا في الأرض فيعتبروا ويتعظوا؛ أخذوا يطلبون منك يا مُحَمَّدُ نزولَ العذاب عاجلاً، على سبيل الاستهزاء بك والاستخفاف بما هَدَدْنَاهُمْ به، ويقولون لك: متى هو؟ فجملة ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ خبرية في اللفظ استفهامية في المعنى⁽³⁾.

معنى حرف الجرّ في: ﴿بِالْعَذَابِ﴾:

الباء من قوله تعالى ﴿بِالْعَذَابِ﴾ صلة لتأكيد معنى الاستعجال

عمى القلب
سبب طلب كل
قبيح

يحتمل الطلب
في معنى
الاستفهام

التَّشخيص
للعذاب كمال
الغفلة عن يوم
الحساب

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 290 / 17.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5000 / 9.

(3) الألوسي، روح المعاني: 161 / 9، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 323 / 9.

بشدته؛ كأنه قيل: يحرصون على تعجيله⁽¹⁾، وهذا الفعل يتعدى بنفسه؛ ففي ذكر (الباء) إنكارٌ لطيف عليهم ذلك الاستعجال؛ فمثله لا ينبغي أن يكون، ومثل عذاب الله لا يصح أن يستعجل، كما أنه تحديدٌ وتشخيصٌ دقيقٌ للمستعجل به إظهارًا لكمال جهلهم وإبرازًا لشدة غرورهم وخطرتهم.

إيثارُ ذكر لفظ العذاب، وسببُ تعريفه:

في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾؛ في الكلام حذف مضافٍ تقديره: (مجيء أو نزول)؛ لأنهم لا يستعجلون ذات العذاب؛ بل نزوله وحلوله فيهم، وإنما حذف المضاف وذكر (العذاب) لأنه محط التّكذيب والإنكار والتّهم والاستخفاف⁽²⁾.

كما ورد (العذاب) مُعرّفًا باللام إشارةً إلى أنه ﷻ كان يُخَوِّفهم بالعذاب إن استمروا على كفرهم، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ﴾ [الحج: 7]⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: 13]؛ ف(اللام) للعهد الذّكري بين المتخاطبين، ويمكن تقدير الكلام على حذف مضافين؛ أي: (ويستعجلونك بمجيء مسبب عذابهم؛ مما هو جزاء أعمالهم).

توجيه عطف النّفي على طلبهم العذاب:

لما كان استعجالهم العذاب متضمّنًا أنّهم موقنون بأنّ العذاب الموعود به غير واقع ونازلٍ بهم، وأنّهم مُكذّبون له بما يتوعّدهم من حلول العذاب فيهم أعقب بالعطف عليه النّفي لإخلاف الوعد القاطع بنزوله فيهم عند حلول أجله ووقته الموعود به بقوله: ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾؛ أي: فالعذاب الموعود الذي تتهمّون به نازل

الشّخريّة بما
جاء به الرّسل
من سمّت
الكافرين

الردّ القاطع
لتهكّمات
المُكذّبين

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 291 / 17.

(2) الهريزي، حقائق الرّوح والزّيجان: 366 / 18.

(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 234 / 23.

لا محالة بكم؛ لأنَّه وعدُّ من الله والله لا يخلف وعده⁽¹⁾؛ فالمعطوف كشف بالواو عن حقيقة ما تضمنه فحوى استعجالهم وإنكارهم.

نُكْتة النَّفْيِ بـ (لن):

ورد في قوله: ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ النفي بكلمة (لن) التي فيها من الحسم والجزم والفصل ما فيها؛ بدليل المواقع التي تُستعمل فيها، ففيها كمال التأنيس للنبي ﷺ والمؤمنين لئلاَّ يَسْتَبْطِئُوا الوعد وإنجازه⁽²⁾، وقد يُنجز الوعد حالاً، وقد يُؤخَّره بعد الوعيد إلى حين قَلَّ أو كثر؛ لأنَّ قضاءه سبق أنَّه لا يكون إلاَّ بموعده لحكمٍ يُظهرها لمن يشاء من عباده⁽³⁾.

دلالة جُملة ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾:

تحتمل جُملة ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ الحالية، وجيء بها لتهديدهم على استعجالهم العذاب واستخفافهم الوعيد به؛ أي: والحال أنَّ الله تعالى لن يُخلف ما وعدهم به من العذاب؛ بل هو منجزه لا محالة في الوقت الذي يريده هو وليس الذي يريدونه هم⁽⁴⁾، وفائدة كونها حالاً هي لفتُ انتباههم المقصودُ إلى غفلتهم عن مضمونها، والتَّعجيبُ من ذلك؛ تبعاً لهذا اللَّفت.

كما تحتمل هذه الجملة أن تكون اعتراضية مُبَيِّنة لما ذُكِرَ⁽⁵⁾؛ وفيها إنكارٌ عليهم وتسفيه لهم؛ إذ يطلبون الهلاك ويستعجلون البلاء على حين يصرفون وجوههم عن هذا الخير الذي بين أيديهم، ويُلقون بأنفسهم إلى التَّهلكة، وهذا لا يكون من إنسان له مِسْكَة من العقل

تأنيس النَّبي
والمؤمنين
وتهديد المشركين

لو تأملوا حال
السَّابِقِينَ
لَعَرَفُوا حَقِّقَةَ
الوعد المبين

احتمالية أن
تكون الجملة
اعتراضية

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 291 / 17.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 291 / 17.

(3) البقاعي، نَظْمُ الدُّرَر: 66 / 13.

(4) الألوسي، روح المعاني: 161 / 9، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 323 / 9، والخطيب، التفسير القرآني:

1055 / 9.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 111 / 6، وابن عجيبة، البحر اللديد: 421 / 4.

والإدراك⁽¹⁾، وقد يرى بعضهم أنَّ حملها على الاعتراض غير قوي؛ لأنَّ معناها مُتَّصِلٌ بمعنى الجملة التي قبلها كالجملة التي بعدها، وجملة: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾: إنّما تُرهبهم غاية الترهيب إذ تأسست على جملة: ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾؛ كما هو الحال في التنزيل الكريم.

سِرُّ التَّعْبِيرِ عَنِ نَفْيِ الْإِخْلَافِ بِالْمُضَارِعِ:

كان نَظْمُ الْخُلْفِ الْمُنْفِيِّ مُضَارِعًا نَازِلًا إِلَى الْمُخَاطَبِينَ بِهِ فِي كُلِّ عَصْرِ وَمِصْرٍ وَجَنَسٍ؛ فَهَمُّ مُتَجَدِّدُونَ مُتَكَرِّرُونَ، وَإِلَى كَوْنِ مُتَعَلِّقِ الْوَعْدِ بِالْعَذَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَعًا؛ وَالْمَعْنَى: ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾؛ أَيُّ: مَا وَعَدَ بِهِ فَهُوَ كَائِنٌ لَا مُحَالَةَ، لَا مَتَاعَ الْخُلْفِ فِي خَبَرِهِ، فَيُصِيبُهُمْ مَا أَوْعَدَهُمْ بِهِ الْبَتَّةَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ لَكُونَهُ صَبْرًا لَا يُعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ، وَهُوَ يَفْعَلُ بِهِمْ وَبِغَيْرِهِمْ فِي الْأَزْمَنَةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ كَمَا فَعَلَ فَيَمُنُّ قَبْلَهُمْ فِي الْأَزْمَنَةِ الْمَاضِيَةِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ نَهْجُهُ الثَّابِتُ وَعَدْلُهُ الْمُبِينُ، وَسَيَحِلُّ بِهِمْ مِثْلُ مَا حَلَّ بِغَيْرِهِمْ، وَقَدْ أَنْجَزَ اللَّهُ الْوَعْدَ فِي الدُّنْيَا يَوْمَ بَدْرٍ، وَيُنْجِزُ هَلَاكَهُمْ بِالسَّاعَةِ قَبْلَ عَذَابِ الْآخِرَةِ⁽²⁾.

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِاسْمِ الْجَلَالَةِ: ﴿اللَّهُ﴾:

عَبَّرَ الْقُرْآنُ بِاسْمِ الْجَلَالَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾؛ لِفَتْأً إِلَى أَنَّ إِخْلَافَ الْوَعْدِ ضِدُّ الْأُلُوْهِيَّةِ الْحَقَّةِ؛ فَهُوَ دَلِيلُ نَقْصٍ، جَلَّ اللَّهُ وَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ، فَإِذَا وَعَدَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ أَوْ تَوَعَّدَ بِشَيْءٍ كَانَ حَاصِلًا لَا مُحَالَةَ، وَكَانَ وَعْدًا أَوْ وَعِيدًا عَظِيمًا، وَهَذَا الْاسْمُ هُوَ الْأَنْسَبُ بِسِيَاقِ اسْتِعْجَالِ الْعَذَابِ، وَبِإِثَارَةِ الرُّهْبَةِ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ اسْتِخْفَافِهِمْ بِالْوَعِيدِ وَتَهَكُّمِهِمْ بِالتَّحْذِيرِ وَالتَّخْوِيفِ، وَالْاسْمُ الْكَرِيمُ يَتَضَمَّنُ كُلَّ أَوْصَافِ الْمَوْلَى تَعَالَى، فَيَكُونُ إِثْبَاتًا لِنَفْيِ إِخْلَافِ الْوَعْدِ

وَمَنْ أَصْدَقُ
مِنَ اللَّهِ قِيْلًا فِي
وَعْدِهِ؟

مَنْ تَجَاهَلَ
الْأُلُوْهِيَّةَ الْحَقَّةَ
فِي الرِّخَاءِ تَنَبَّهَ
لَهَا فِي الشَّدَّةِ

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 9/ 1055.

(2) الراغبي، تفسير الراغبي: 17/ 125، والظهوري، التفسير للظهوري: 6/ 334، والهواري، تفسير كتاب الله

العزیز: 3/ 106.

بَيِّنَةٍ وَبِرْهَانٍ؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَلَنْ يُخْلَفَ وَعْدُهُ؛ لِأَنَّهُ اللَّهُ ذُو الصِّفَاتِ الْكَمَالِيَّةِ الْعَظِيمَةِ.

دلالة حذف المتعلق، وسر الإضافة:

إِنَّ ظَاهَرَ النَّظْمِ الْكَرِيمِ أَنْ يُقَالَ: وَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ وَعْدَهُ فِي حُلُولِ الْعَذَابِ الَّذِي يَسْتَعْجِلُونَكَ بِهِ لَهُمْ، وَقَدْ حُذِفَ الْمُتَعَلَّقُ؛ لِلْعِلْمِ بِهِ؛ لِاقْتِرَانِ جُمْلَةِ الْوَعْدِ بِجُمْلَةِ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾، وَأُضِيفَ الْوَعْدُ إِلَيْهِ تَعَالَى مَعَ أَنَّ الْوَعِيدَ صَادِرٌ مِنَ الرَّسُولِ فِي الْحَقِيقَةِ؛ لِأَنَّ رَسُولَهُ ﷺ هُوَ الْمُخْبِرُ بِهِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى⁽¹⁾، كَمَا تَحْتَمِلُ الْإِضَافَةُ تَعْظِيمَ ذَلِكَ الْوَعِيدِ وَتَفْخِيمَهُ فِي مَقَابِلَةِ اسْتِخْفَافِهِمْ وَاسْتَهْزَائِهِمْ بِهِ.

توجيه الواو بين العطف والاستئناف النحوي:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ عَطَفَ عَلَى الْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ ﴿وَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَوَعَّدَهُمْ بِالْعَذَابِ، وَهُوَ شَامِلٌ لِعَذَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُمْ إِنَّمَا اسْتَعْجَلُوا عَذَابَ الدُّنْيَا تَهْكُمًا وَكُنَايَةً عَنْ إِيقَانِهِمْ بَعْدَمَ وَقُوعِهِ بِالْأَزْمِ وَاحِدٍ، وَإِيْمَاءً إِلَى عَدَمِ وَقُوعِ عَذَابِ الْآخِرَةِ بِالْأَزْمِ؛ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رَدًّا عَامًّا بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾، وَكَانَ ذَلِكَ تَثْبِيثًا لِلْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ أَعْقَبَهُ بِإِنْذَارِهِمْ بِأَنَّ عَذَابَ الْآخِرَةِ لَا يُقْلَتُونَ مِنْهُ أَيْضًا، وَهُوَ أَشَدُّ الْعَذَابِ؛ فَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ خَبَرٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّعْرِيزِ بِالْوَعِيدِ، وَهَذَا الْيَوْمُ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ⁽²⁾.

جُمْلَةُ ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ يَلْزَمُ مِنْهَا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ لَا يَتَخَلَّفُ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهَا الْمَفْصَلُ الْمُؤَسَّسُ عَلَى مَعْنَى الْجُمْلَةِ الَّتِي قَبْلُهَا: ﴿وَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾؛ لَكِنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةُ لَا يَلْزَمُ مِنْهَا

الإيجاز أليق
بسياق التهديد

في العطف
قوة للتهديد
والغضب، وفي
الاستئناف قوة
للجلم والإمهال

وَعْدُ إِلَهٍ لَا
يَتَخَلَّفُ وَإِنْ طَالَ
الْأَمَدُ

(1) أبو الشعود، إرشاد العقل السليم: 6 / 112.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17 / 291.

معنى جملة: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ الآية؛ فبينهما قدرٌ من التَّوَّاصِلِ المعنويِّ والتَّوكِيدِ، وترتيبهما على الأصل والظاهر.

قد تكون جملة ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ مستأنفةً استئنافيةً نحوياً سبقت لبيان أنَّ حساب الأزمان في تقدير الله تعالى يُخَالَفُ ما يُقَدِّرُهُ البشر؛ أي: دَعَمَهُمُ أَيُّهَا الرَّسُولُ الكريمُ يَسْتَعْجِلُونَ العَذَابَ؛ فذلك دَأْبُ الظَّالِمِينَ فِي كُلِّ حِينٍ، وَسَبِيلُ الْجَاهِلِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَأَعْلَمَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَنْ يُخْلَفَ وَعْدَهُ إِيَّاهُمْ بِهِ فِي الْوَقْتِ الْمُحَدَّدِ لَذَلِكَ، وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَهُ تَعَالَى كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا يَعُدُّهُ هَؤُلَاءِ فِي دُنْيَاهُمْ، وَسَيَأْتِيهِمْ هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي يَطُولُ عَلَيْهِمْ طَوْلًا شَدِيدًا، لِمَا يَرَوْنَ فِيهِ مِنْ عَذَابٍ مُهِينٍ⁽¹⁾، وَهَذَا بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ الْجُمْلَةَ الْأُولَى ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾⁽²⁾؛ فَسَبَقَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ لِتَحْقِيقِ انْكَارِ الاسْتَعْجَالِ وَبَيَانِ خَطَأِهِمْ فِيهِ بَبَيَانِ كَمَالِ سَعَةِ سَاحَةِ حِلْمِهِ تَعَالَى وَإِظْهَارِ غَايَةِ ضَيْقِ عَطَنِهِمْ الْمُسْتَتَبِعِ لَكُونَ الْمُدَّةِ الْقَصِيرَةِ عِنْدَهُ تَعَالَى مُدَّةً طَوَالًا عِنْدَهُمْ حَسَبَ مَا يَنْطِقُ بِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَتَرَاهُ قَرِيبًا﴾⁽³⁾.

لقد تَأَسَّسَ فَهْمُ كَوْنِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ مُسْتَأْنَفَةً اسْتِئْنَافًا ابْتِدَائِيًّا نَحْوِيًّا عَلَى الْاِلْتِفَاتِ مِنَ الْغَيْبَةِ فِي: ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ إِلَى الْخُطَابِ فِي: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ الآية، وَيَتَّبِعُ هَذَا الْوَجْهَ مَعْنَى أَنَّ اللَّهَ سَيَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيُمَهِّلُهُمْ مِنْ أَجْلِ حُبِّيهِ وَنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ رَجُوعًا إِلَى وَصْفِ الْإِحْسَانِ الَّذِي تَسَلَّطَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ بِالتَّقْوَى فِي مَطْلَعِ السُّورَةِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ [الحج: 1].

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 324/9.

(2) الألوسي، روح المعاني: 161/9.

(3) الألوسي، روح المعاني: 161/9.

حساب الأزمان
في تقدير الله
تعالى يُخَالَفُ ما
يُقَدِّرُهُ البشر

التفات بديع
من الغيبة إلى
الخطاب

بلادة التوكيد بـ (إِنَّ) والجملة الاسمية:

في التأكيد بـ (إِنَّ) واسمية الجملة في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ تأكيد لوقوع وعد الله وإنجازه، وأنهم إذا كانوا قد استبطئوا وقوعه، فإنَّ لله ﷻ تقديرًا غير تقديرهم، وحسابًا غير حسابهم، فالنَّاس يتعاملون مع أشياء محدودة، في زمنٍ محدودٍ، على حين أنَّ الله سبحانه يُدبِّر الوجود كله في زمنٍ مُطلق وبقدرة مُطلقة؛ وعلى هذا فإنَّه إذا لم يقع بهم العذاب عاجلاً فهو واقع آجلاً، وأنَّهم إذا لم يؤخذوا به في الدنيا، أخذوا به في الآخرة فهم أبداً في قبضة الزَّمن⁽¹⁾.

تأكيد وقوع وعد
الله بحسب
تقديره وحكمته

إذا كان القرآن قد استعمل: (لن)؛ ليؤكد وقوع الوعد بالعذاب؛ فإنَّ هذه الجملة: ﴿وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ الآية؛ فيها معنى الجواب على ما تُثيره جملة: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ ممَّا اقتضى الجواب عنه بـ ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ وتأكيدَه؛ فلذلك أكَّد القرآن مضمونها أيضاً؛ فالتَّواصل بين هذه الجملة والجملة التي قبلها لطيف؛ لأنَّهما جوابان عن المذكور، وكذلك التَّواصل بينهما وبين الجملة الأولى في الآية.

في الآية معنى
الجواب على
ما تُثيره جملة:
(ويستعجلونك
بالعذاب)

سر تنكير الظرف ﴿يَوْمًا﴾:

ليس المراد بقوله: ﴿وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ إلى آخره استقصار أجل حلول العذاب بهم في الدنيا كما درج عليه أكثر المُفسِّرين؛ لعدم رِشاقة ذلك على أنَّ هذا الاستقصار يُغني عنه قوله عقب هذا: ﴿وَكَايِن مِّن قَرِيَةٍ أُمْلِئَتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾⁽²⁾؛ ذلك أنَّ لليوم مراتب؛ فيوم كالآن وهو أدنى ما يُطلق عليه الزَّمان؛ فمنه يمتدُّ الكلُّ وهو مُشار إليه بقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29]؛ فالشَّأنُ الإلهيُّ بمنزلة الرُّوح يسرى في أدوار الزَّمان ومراتبه سرياناً

في تنكيره
تعريف بأوصافه
وأحواله

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 1056/9.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 292/17.

الرُّوح في الأعضاء، ويوم خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة، ويوم كَأَلْفِ سَنَةٍ وهو يوم الآخرة⁽¹⁾، وتكثيرُ (اليوم) في معنى أنه كَأَلْفِ سَنَةٍ ممَّا تعدُّون فيه عظمَةُ ذلك اليوم وفخامته والتَّهْوِيل من شأنه، كما يُفِيد التَّكثِيرُ إِبْهَامَ ذلك اليوم وإِبْهَامَ زمن نزول العذاب بهم، إذ يَأْتِيهِمْ ما وعدهم بغتَةً وهم لا يشعرون.

دلالة التعبير بالعِندِيَّة ظرفاً:

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾؛ أي: عند الله؛ لإحاطته فيه وعلمه وإنفاذه قدرته⁽²⁾؛ فالبطيء عندهم قريبٌ عنده وأنه قادرٌ على أخذهم متى شاء، لا يفوته شيء بالتأخير، فيستوي في قدرته التَّأخير والاستعجال⁽³⁾؛ ففي العِندِيَّة مزيدٌ تعريفٍ به ﷻ، ومزيدٌ تهديدٍ ووعيدٍ للعاصين، وإنَّما أضاف الزَّمانَ إلى قرب الله الذي لا يُحِيطُ به مكانٌ ولا زمانٌ؛ لأنَّه تنفذ قدرته فيه.

سِرُّ ذِكْرِ الرُّبُوبِيَّة مضافةً إلى النَّبي ﷺ بضمير الخطاب:

الإضافة في قوله تعالى: ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾؛ للتَّنبيه على أنَّ الله سبحانه سيُعَامَل هؤلاء العاصين الذين يستعجلون رسول الله بالعذاب - بالإحسان، والإضافة إلى كاف الخطاب النَّبَوِيِّ؛ لإفهام أنَّ معاملتهم بالإحسان من أجل إكرام نبيِّنا ﷺ وإرضائه؛ والمعنى: ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾؛ أي: المُحْسِن إليك بتأخير العذاب عنهم إكراماً لك⁽⁴⁾؛ وبهذا يلتقي طرفاً الآية؛ عن طريق ذِكر سيدنا رسول الله ﷺ؛ ففي صدرها: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾، وفي عَجْزها: ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾؛ والقرنُ بين هذَيْنِ الحالَيْنِ في آية واحدة من شأنه أن يُحَرِّكَ هؤلاء المخالفين نحو الإيمان به ﷻ ومعرفة قدره ومقداره؛ ولذا لم يَقُلْ: (عند

لأشياء في
ميزانه سبحانه
حقائق خاصة

الإحسان الإلهي
لنبيّه بتأخير
العذاب عن
قومه

(1) إسماعيل حَقِّي، روح البيان: 46 / 6.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4 / 127.

(3) محمَّد دُرُوزَة، التفسير الحديث: 62 / 6.

(4) البقاعي، نَظْم الدُّر: 67 / 13.

ربكم)، كما أفادت الإضافة تربية الله تعالى لنبيه ﷺ تربيةً خاصّةً حتى نوّه بها من خلال هذه الإضافة.

بلغة التشبيه في الآية وبيان وجهه:

في قوله تعالى: ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ تشبيه لغوي، وقد اختلف أهل التفسير في وجهه؛ ف قيل: في العدد؛ أي: اليوم عند الله يُساوي ألف سنة من عددكم؛ والمعنى: وإن طال الإمهال فإنه في بعض يوم من أيام الله، وهذا ما دَرَجَ عليه أكثر المفسرين وانتقده ابن عاشور رحمه الله، وقيل: التشبيه وقع في الطول للعذاب فيه والشدة؛ أي: وإن يوماً من أيام عذاب الله ليشدّة العذاب فيه وطوله كألف سنة من عددكم، إذ أيام الترحّة مُستطالة، وأيام الفرحة مُستقصرة؛ فكان ذلك اليوم كألف سنة من سنّي العذاب، والمعنى: أنهم لو عرفوا حال الآخرة ما استعجلوه، وقيل: التشبيه بالنسبة إلى علمه تعالى وقدرته، وإنفاذ ما يريد كألف سنة، وقيل: يجمع لهم عذاب ألف سنة في يوم واحد، ولأهل الجنة سرور ألف سنة في يوم واحد⁽¹⁾.

في هذا التشبيه تصوير لإمهال الله في تقديره، وهو العظيم الحكيم العليّ القدير، وتقديره سبحانه اليوم عند الله تعالى بألف سنة مما نعدّه بالأيام والليالي إشارةً إلى أنه لا يُعدُّ، وهو فوق تقديركم⁽²⁾.

هذا التشبيه لغوي، لا اصطلاحيّ؛ فالكاف معناها التسوية، والمعنى: وإن يوماً عند ربك يُساوي ألف سنة مما تعدّون؛ فقد جاءت الكاف "للدلالة على المساواة في الصفة بين المتفقين جنساً في هذه الآية؛ فالمشبه والمُشَبَّه به من جنس واحد؛ والتشبيه للدلالة على مساواة يوم القيامة - في شدّته وقسوته وكثرة ما يُلاقى فيه الإنسان - بألف سنة؛ بما في أيامها ولياليها من الشدائد؛ لأنّ أيام الشدائد مستطالة،

في تشبيه
الغائب بالحاضر
إقامة للحجة
وتقريب للمعنى

في هذا التشبيه
تصوير لإمهال
الله في تقديره

تشبيه لغوي لا
اصطلاحيّ

(1) أبو حنّان، البحر المحيط: 7/ 523، والهرقي، حقائق الرّوح والزّيجان: 18/ 368.

(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 5001.

أو أنَّ المساواة في زمنه ووقته؛ أي: طوله كطول ألف سنة، فالكاف جاءت للدلالة على المساواة في الوصف الجامع للطرفين، ولا يُعكّر على كون معنى المساواة المقصود الأهمّ لمُح معنى المماثلة في الجنس والصفة؛ لأنّ القصد هنا إبراز المساواة بين الطرفين في الصّفة⁽¹⁾.

الإمعان في
التّهويل
والتّفخيم لشأن
يوم القيامة

من دواعي حذف جهة التّسوية دلالة سياق الكلام عليها بقوة، ولأنّ الحذف والإيجاز أدلّ على سياق التّهديد والتّرهيب، وقد عبّر القرآن بالكاف دون صريح معنى التّسوية؛ نظرًا إلى كون المشبّه غيبًا بالنّسبة للمتلقيين؛ إمعانًا في التّهويل والتّفخيم لشأن ذلك اليوم.

نكتة اقتصار التّشبيه على الألف سنة:

اقتصر النّظم الكريم في التّسوية على ألف سنة وإنّ كان اليوم عنده كما لا نهاية له من العدد لكون الألف مُنتهى العدد دون تكرار⁽²⁾، ويحتمل التّحديد لطول يوم القيامة بألف سنة حصرًا وضبطًا كما مرّ.

إيثار لفظ (سنة) على (عام):

لما كان المقصود هنا التّطويل عبّر بـ (سنة) تنبيهًا عليه لدلالة السنّة على الشّدائد⁽³⁾، ومع الشّدائد يثقل القليل من الوقت على النّفس؛ فيُحسّ المعذب بأنّه كثيرٌ طويلٌ.

توجيه التّشابه في اختلاف مُدد اليوم عند الله:

دلّ اليوم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ على أنّ مقدار اليوم عند الله ألف سنة، ودلّ في قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السّجدة: 5] على أنّ تدبير الأمر وعروجه إليه ألف سنة أيضًا، وقد جاءت آية أخرى تدلّ على خلاف ذلك، وهي

اختلاف
مُدّد اليوم
بحسب مراتبه
ومتعلّقاته

(1) محمود حمدان، أدوات التّشبيه دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم، ص: 163 - 164.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23 / 234، وأبو حنّان، البحر المحيط: 523 / 7، والهريري، حقائق الرّوح والزّيجان: 368 / 18.

(3) البقاعي، نّظم الدّرر: 67 / 13.

قوله تعالى في سورة الماعج: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (الماعج: 4).

وللجمع بينهما وجهان: الوجه الأول: أَنَّ يَوْمَ الْأَلْفِ فِي سُورَةِ (السَّجْدَةِ) مِقْدَارُ سَيْرِ الْأَمْرِ وَعُرُوجِهِ إِلَيْهِ تَعَالَى، وَيَوْمَ الْأَلْفِ فِي سُورَةِ (الحَجِّ) هُوَ أَحَدُ الْأَيَّامِ السَّتَّةِ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ فِيهَا السَّمَاوَاتِ، وَيَوْمَ الْخَمْسِينَ أَلْفًا فِي سُورَةِ الْمَاعِجِ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ⁽¹⁾.

والوجه الثاني: أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا جَمِيعِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ الْاِخْتِلَافَ بِاعْتِبَارِ حَالِ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿١﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ (التَّوْبَةِ: 9-10)⁽²⁾، وَالَّذِي نَمِيلُ إِلَيْهِ أَنَّ يَوْمَ الْأَلْفِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهُ الْمُنَاسِبُ لِاسْتِعْجَالِ قِيَامِ السَّاعَةِ وَعَذَابِ الْآخِرَةِ.

دلالة التعبير بالمضارع للمجموع ﴿تَعْدُونَ﴾:

لَمَّا كَانَتِ السَّنُونَ قَدْ تَخْتَلَفَ قَالَ: ﴿مِمَّا تَعْدُونَ﴾ لِأَنَّ أَيَّامَكُمْ تَنَاسَبَ أَوْهَامُكُمْ، وَأَزْمَانُكُمْ تَنَاسَبَ شَأْنُكُمْ، وَهُوَ حَلِيمٌ لَا يَسْتَطِيلُ الزَّمَانُ، وَقَادِرٌ لَا يَخَافُ الْفُوتَ⁽³⁾؛ فَالسَّنُونَ مُتَجَدِّدَةٌ، وَالْعَدُّ فِي ذَاتِهِ مُتَجَدِّدٌ، وَلِذَا عَبَّرَ بِ(المضارع) الْمُفِيدِ لِلِاسْتِمْرَارِ الْمُتَجَدِّدِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى تَعَدُّدِ الْأَزْمَنَةِ وَاخْتِلَافِهَا وَنَسْبِيتِهَا.

توجيه قراءتي الخطاب والغيبة في ﴿تَعْدُونَ﴾:

قَرَأَ الْجُمْهُورُ ﴿تَعْدُونَ﴾ بِالتَّاءِ الْفَوْقِيَّةِ، وَالْخَطَابُ فِي ﴿تَعْدُونَ﴾ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِهِمْ؛ فَيَكُونُ عَامًّا لِلْمُسْتَعَجِلِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ⁽⁴⁾، وَقَرَأَهُ ابْنُ كَثِيرٍ وَحَمْزَةً، وَالْكَسَائِيُّ ﴿يَعْدُونَ﴾ بِيَاءِ الْغَائِبِينَ⁽⁵⁾؛ أَيْ:

فِي الْعَدِّ
وَالْإِحْصَاءِ لِفَتْ
إِلَى حَقِيقَةِ
الْخَالِقِ وَالْخَلْقِ

فِي الْقِرَاءَتَيْنِ
إِحْسَانًا لِّلْمَعْنَى
وَلِأَهْلِ الْكُفْرِ
جَمِيعًا

(1) السُّبُوطِي، الْإِتْقَانُ: 3/ 93.

(2) السُّبُوطِي، الْإِتْقَانُ: 3/ 93، وَالشَّنْقِيطِي، دَفْعُ إِبْهَامِ الْاضْطِرَابِ، ص: 158، وَابْغَوِّي، مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ: 3/ 345.

(3) الْبِقَاعِي، نَظْمُ الدُّرَرِ: 13/ 67.

(4) الْبِغَوِّي، مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ: 3/ 345.

(5) ابْنُ الْجَزَرِيِّ، النُّشْرُ: 2/327.

مِمَّا يَعُدُّهُ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْتَعْجِلُونَ بِالْعَذَابِ⁽¹⁾، لقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾،
فَيَكُونُ فِيهِ التَّفَاتُّ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ⁽²⁾.

وينتج عن هاتين القراءتين أن المعنى يتلقاه أهل الكفر مرتين؛ وفي ذلك من الترهيب ما فيه، وفيه إحسان إليهم بالمبالغة في تنبيههم على سوء حالهم، وسوء عاقبته يوم القيامة، وينتج عن قراءة الغيبة: ﴿يَعُدُّونَ﴾ قوة التماسك بين آخر الآية: ﴿يَعُدُّونَ﴾، وأولها: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾، ولا مانع من جهة السياق من حمل قراءة الخطاب: ﴿تَعُدُّونَ﴾ على أنه لأهل الكفر خاصة؛ تقريباً لهم، وإقبالاً عليهم؛ ويؤيد ذلك التعبير باسم (الرَّبِّ) مُضَافاً إلى كاف الخطاب النبوي.

براعة ختم الآية بذكر العدد:

جاءت خاتمة الآية الكريمة بذكر العدد في قوله تعالى: ﴿تَعُدُّونَ﴾ لتتوافق وتتناسب مع ذكر (الألف سنة) المذكورة في الآية، وكأنهم يعدُّون أيضاً الأيام ليروا متى سيجلُّ عليهم العذاب الموعود، ويهزءون بما يعدُّهم به رسولهم؛ فيرجع آخر الآية إلى أولها: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾، ثم إنَّه من المعلوم أنَّ الحساب يُطلق على استعمال العدد⁽³⁾.

❁ الفروق المعجمية:

الوعد والوعيد:

(الوعد) و(الوعيد) أصلهما (وعد)، ويدلُّ على ترجية بقول، يُقال: وَعَدْتُهُ أَعِدُّهُ وَعِدًّا، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَيُعْدَى بِنَفْسِهِ وبالباء فيقال: وَعَدَهُ الْخَيْرَ وبِالْخَيْرِ، وَغَلَبَ الْوَعْدُ فِي الْخَيْرِ وَالْإِعَادُ فِي الشَّرِّ، والوعد لا يكون إِلَّا بِشَرٍّ⁽⁴⁾.

في الختم بذلك
ردُّ للعجز على
الصدر، وللآخر
على الأوَّل

الوعد يكون في
الخير والشرِّ،
والوعد لا يكون
إلا في الشرِّ
خاصة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 292 / 17.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 112 / 6.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 129 / 17، والشوكاني، فتح القدير: 460 / 3.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والفيومي، المصباح للنير: (وعد).

ووعده الأمر قال له: إِنَّهُ يُجْرِيهِ لَهُ، أَوْ يُنِيلُهُ إِلَيْهِ، ووعده بالخير: مِنْهُ بِهِ، وبالشَّرِّ: هَدَّه بِهِ⁽¹⁾، فيُقَالُ: وَعَدْتُهُ خَيْرًا، وَعَدْتُهُ شَرًّا، فإذا أَسْقَطُوا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ يَكُونُ الْوَعْدُ فِي الْخَيْرِ⁽²⁾، فالوَعْدُ يَكُونُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، يُقَالُ: وَعَدْتُهُ بِنَفْعٍ وَضُرٍّ وَعَدًّا وَمَوْعِدًا وَمِيعَادًا، والوَعِيدُ فِي الشَّرِّ خَاصَّةٌ.

العَدُّ والإحصاء:

العَدُّ ضَمُّ الأعداد بعضها إلى بعض، يُقَالُ: وَاحِدٌ اثْنَانِ ثَلَاثَةٌ أَرْبَعَةٌ، قال تعالى: ﴿فَسَلِّ الْعَادِينَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: 113]؛ أَي: أَصْحَابَ العدد والحساب⁽³⁾.

العَدُّ مُجَرَّدٌ
ضَمُّ الأعداد،
والإحصاءُ عَدٌُّ
بِحِفْظٍ وَإِحَاطَةٍ

والإحصاءُ: العَدُّ والحِفْظُ وإِحَاطَةُ الْعِلْمِ بِاسْتِثْقَاءِ الْعَدَدِ⁽⁴⁾؛ فالإحصاءُ يَكُونُ مَعَ الْعَدِّ الْحِفْظُ وَالْإِحَاطَةُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ أَصْلَ الْإِحْصَاءِ أَنَّ الْحَاسِبَ إِذَا بَلَغَ عَقْدًا مُعَيَّنًا مِنْ عَقُودِ الْأَعْدَادِ كَالْعَشْرَةِ وَالْمِائَةِ وَالْأَلْفِ وَضَعَ حِصَاةً لِيَحْفَظَ بِهَا كَمِيَّةَ ذَلِكَ الْعَقْدِ⁽⁵⁾، وَالْعَدُّ لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ حِفْظُهَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ؛ فَالْإِحْصَاءُ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهِ حِفْظٌ لِمَا تَعَدُّهُ؛ فَهُوَ عَدُّ مَعَ حِفْظٍ.

أَمَّا الْعَدُّ فَهُوَ مُجَرَّدُ ضَمِّ الْأَعْدَادِ دُونَ حِفْظٍ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ (الْعَدُّ) وَ(الْإِحْصَاءُ)؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الْجِنِّ: 28]؛ أَي: أَحَاطَ عِلْمُهُ سُبْحَانَهُ بِاسْتِثْقَاءِ عَدَدِ كُلِّ شَيْءٍ⁽⁶⁾؛ فَهُوَ أَحْصَى مِنَ الْعَدِّ، وَفِيهِ تَدْقِيقٌ وَمَعْرِفَةٌ بِخِصَائِصِ الشَّيْءِ وَصِفَاتِهِ تَفْصِيلًا بَعْدَ عَدِّهِ إجمالًا؛ قَالَ ﷺ: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [مَرْيَمَ: 94]، وَقَالَ: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [الْجَادِلَةَ: 6]؛ أَي: أَحَاطَ

(1) مُحَمَّدٌ جَبَلٌ، الْعَجْمُ الْإِشْتِقَاقِيُّ لِلْوُضَلِ: (وَعَدَ).

(2) الْجَوْهَرِيُّ، الصَّحَاحُ، وَالزَّيْنِيُّ، مُخْتَارُ الصَّحَاحِ: (وَعَدَ).

(3) الزَّائِجُ، الْفُرْدَاتُ، وَالسَّمِينُ، عُمدَةُ الْخُفَاطِ: (عَدَ).

(4) الصَّاحِبُ، لِلْحَبِطِ: (حَصَى)، وَابْنُ الْأَثِيرِ، النُّهَيْيَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ: 397/1.

(5) حَقِّي، رُوحُ الْبَيَانِ: 376/7.

(6) الْوَاحِدِيُّ، التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ: 482/12.

اللَّهُ بِهِ عِلْمًا، وحفظه كما عَلِمَهُ لم يَفُتْ منه شيءٌ ولم يغب، فقد علم صفات كُلِّ واحدٍ منهم وحالاته وخصائصه إحصاءٍ تفصيليًّا، فضلاً عن عدِّه إجمالاً، وهذا من بديع عِلْمِ اللَّهِ ﷻ بخلقه ومن روائع نظمهِ، وفي هذا المعنى يقول ربنا: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [الشُّح: 18]؛ فإن استطعتم عدّها على سبيل الافتراض لا الواقع - والعدُّ أسهل - فإنكم لن تستطيعوا إحصاءها قطعاً وجزماً؛ من حيث الوقوف على تفصيل خصائص هذه النعمة وفضائلها ودقائقها، فسبحان مَنْ أَحْكَمَ بَيَانَهُ⁽¹⁾.

(1) الهرريّ، حقائق الرُّوح والرَّيحان: 29 / 60، والمصطفويّ، التَّحْقِيقُ فِي كَلِمَاتِ الْقُرْآن: 2 / 238.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحج الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1446هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحج الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 34، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-76-1

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 34: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحج الآية 50.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-76-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النजार»